

رَأَيْتَ النَّخْلَ

قِصَّةٌ قَصِيرَةٌ

3

الْقِرَاءَةُ

رضوى عاشور

نَوَاتِجُ التَّعَلُّمِ

1. يَتَّبِعُ الْمُتَعَلِّمُ الْأَثَرَ الَّذِي يَتْرُكُهُ أُسْلُوبُ الْكَاتِبِ وَاسْتِخْدَامُهُ لِبَعْضِ التَّقْنِيَّاتِ الْبَلَاغِيَّةِ (بَيَانٌ، بَدِيعٌ، مَعَانِي) لِإِيصَالِ الْفِكْرَةِ وَالتَّأْثِيرِ فِي الْقَارِئِ.
2. يَحْلُلُ الْمُتَعَلِّمُ جَوَانِبَ النُّصُوصِ الْأَدْبِيَّةِ، مِثْلَ: (كَيْفِيَّةِ إِنْشَاءِ الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ)، ذَاكِرًا رَأْيَهُ فِي الطَّرِيقَةِ الَّتِي طَوَّرَ الْكَاتِبُ مِنْ خِلَالِهَا هَذَا الْجَانِبَ، مُسْتَدَلًّا عَلَيْهِ بِالرَّجُوعِ إِلَى النُّصِّ وَمِصْطَلِحَاتِهِ الْأُسْلُوبِيَّةِ.
3. يَحْلُلُ الْمُتَعَلِّمُ الْأَفْكَارَ فِي الْقِصَصِ الَّتِي يَقْرُوهَا، رَابِطًا إِيَّاهَا بِرُؤْيَا الْكَاتِبِ وَتَجْرِبَتِهِ الْفَنِيَّةِ.
4. يَفْسِّرُ الْمُتَعَلِّمُ الْكَلِمَاتِ مُسْتَخْدِمًا الْمَعْجَمَ الْوَرَقِيَّ وَالرَّقْمِيَّ.
5. يَحْلُلُ الْمُتَعَلِّمُ صُورًا بَيَانِيَّةً (تَشْبِيهٌ، اسْتِعَارَةٌ، كِنَايَةٌ) (تَعْزِيزٌ).

رَأَيْتُ النَّخْلَ*

رضوى عاشور

طال الشتاء فلم أعد قادرة على الانتظار، فلبست معطفي القديم، وربطت رأسي بمنديلي الصوفي، ونزلت إلى الشوارع أقطعها، وأتوقف عند الشجر، أنظر، وأتحقق، وعندما تفشل عيناى في رؤية شيء على الفروع الجافة، أمد يدي، أجس، وأتحسس، وأحياناً كانت يداى تتوقعان، ويخفق قلبي، ثم أكتشف أن ما وجدت ليس هو المنشود، بل مجرد عقدة على فرع جاف، ولكنني كنت واثقة أنني سأجدها، أقصد الكرويات الصلبة الدقيقة التي يخدعك لونها في البداية فتظنها لا شيء، ولكنك لو دقت النظر وجدتها كروية، ورمادها ليس رمادياً، ولا جفافها جفافاً، عليك أن تتابعها، وتنتظرها تكبر، وتتفتح، وتكشف لك عن أخضرها الكامن.

كنت أبحث عنها عندما رأيت ذلك الزميل، فقال:

- فوزية، ماذا تفعلين في الشارع في هذا البرد الشديد، كل الناس تلزم بيوتها؟

قُلْتُ:

- أبحث عن البراعم!

فهتف:

- والله إنك مجنونة يا فوزية!

كان يمزح، أذكر بوضوح أن صوته كان ضاحكًا، وأن النظرة في عينيه كانت دافئة وودودة.

وفي نهاية يوم قضيته أبحث، عدت إلى بيتي خائبة، أتساءل إلى متى؟ ساعتها تذكرت زهرة الصبار التي حملتها لي عمتي فاطمة من البلد، وكنت قد وضعتها بجوار الباب، ونسيتها. وعندما تذكرت، قلت لنفسي: لا بد أنها ماتت، فأنا لم أسيقها منذ عدة شهور، ولكنني كُمت لأراها. كان طينها قد جف، وتشقق، وأصبح في لون البنّ الأشقر، وعودها يبس، واصفر، رغم أنه نما، وطال، وكانت أوراقها ذات الحواف الإبرية على حالها ناهضة، تتفرع من الساق عريضة، وتتفتح إلى الأسفل ربيعة ومدببة. كانت صبارة عمتي تستوي

* من مجموعتها القصصية "رأيت النخل"، دار الشروق، مصر.

على سوقها خضراء، رَوَيْتُهَا.

أَحْبَبْتُ التَّرْعَ، وَصَرْتُ أَزْرُعَ فِي آنِيَةٍ مِنْ قَحَارٍ، فِي عَلْبَةٍ فَارِغَةٍ، فِي كَوْبٍ، فِي أَيِّ شَيْءٍ
يَصْلِحُ لِلتَّرْعِ، أَمْلَأُوهُ بِالطَّيْنِ، وَأَثْبَتُ فِي الْعَمِيقِ اللَّازِمِ نَوَاةَ ثَمْرَةٍ، أَوْ فَرْعًا أَخْضَرَ، وَأُرْوِي.

أَيَامَهَا، لَنْمَ يَقُلْ لِي أَحَدٌ إِنِّي مَجْنُونَةٌ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا بَعْدَ ذَلِكَ، يَوْمَ حَمَلُوا لِي خَبَرَ وَفَاةَ
ابْنِ عَمِّي:

- مَاتَ ابْنُ عَمِّكَ يَا فُورِيَّةَ.

- مَاتَ؟

فَلَمَّا أَكْدُوا الْخَبَرَ طَلَبْتُ مِنْهُمْ أَنْ يَنْتَظِرُوا كَيْ أَصْحَبُهُمْ لِتَقْدِيمِ وَاجِبِ الْعِزَاءِ. رَأَوْنِي
أَقْرَفُضُ أَمَامَهُمْ، وَأَمْلَأُ عَلْبَةً فَارِغَةً بِالطَّيْنِ، وَأَرْشُقُ فِيهِ عَوْدَ رِيحَانٍ، وَأَثْبَتُهُ بِالضَّغِطِ الْمَتَكَرِّرِ
بِقَبْضَتِي عَلَى الطَّيْنِ حَتَّى يُمَسِكَ بِالْفَرَعِ تَمَامًا، وَيَحْتَضِنُهُ، وَيَتَمَسَّكَ، ثُمَّ غَمَرْتُهُ بِالْمَاءِ،
وَقُلْتُ:

- الْآنَ بِإِمْكَانِنَا أَنْ نَذْهَبَ.

رَأَيْتَهُمْ يَضْرِبُونَ كَفًّا بِكَفِّ، وَسَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ: "جَنَّتْ فُورِيَّةُ، وَعَوَّضْنَا عَلَى اللَّهِ"، وَلَمْ أَفْهَمْ لِمَاذَا قَالُوا ذَلِكَ؟ وَاسْتَغْرَبْتُ أَكْثَرَ عِنْدَمَا سَمِعْتُ أَحَدَهُمْ يَهْمِسُ: "فُورِيَّةُ تُقَلِّدُ الْأَغْنِيَاءَ الَّذِينَ يُزَيِّتُونَ بِيَوْتَهُمْ بِالنَّبَاتَاتِ!"، اسْتَغْرَبْتُ؛ لِأَنَّهُ مِنْ قَرِيَّتِنَا، وَيَعْرِفُ، فَحَنُّ قَلَّاحُونَ، صَحِيحٌ أَنَّ النِّسَاءَ فِي عَائِلَتِنَا الصَّعِيدِيَّةِ لَا يَخْرُجْنَ إِلَى الْحَقُولِ لِلْفَلَّاحِيَّةِ، وَلَكِنَّ الْفَلَّاحَةَ هِيَ حَيَاتُهُنَّ الَّتِي يَفْتَحْنَ عِيَوْتَهُنَّ عَلَيْهَا، وَيَغْمُضْنَ سَاعَةَ الْمَوْتِ عِيَوْتَهُنَّ عَلَيْهَا أَيْضًا. وَأَنَا أَذْكَرُ أَنَّ بَيْتَنَا فِي الْقَرْيَةِ كَانَتْ عَلَى سَطْحِهِ نَعْنَاعَةٌ، وَقِي قَاعِهِ صَبَّارَةٌ، وَبِبَابِهِ نَخْلَةٌ. وَأَذْكَرُ أَنَّ أَبِي -رَحِمَهُ اللَّهُ- كَانَ يَقُولُ: إِنَّ النَّخْلَةَ شَجَرَةٌ مُبَارَكَةٌ، أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ، وَكَرَّمَهَا بِذِكْرِهَا فِي الْقُرْآنِ، وَإِنَّ النَّبِيَّ -صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ- قَالَ: "أَكْرَمُوا عَمَاتِكُمُ النَّخْلَ"¹، وَإِنَّهُ سَمَّى النَّخْلَ عَمَاتِنَا؛ لِأَنَّهَا خُلِقَتْ مِنْ فَضْلَةِ طِينَةِ آدَمَ، وَأَنَّهَا تُشَبِّهُ الْإِنْسَانَ، خُلِقَتْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، طَوِيلَةٌ مُسْتَقِيمَةٌ الْقَدُّ، وَجَمَارُهَا عَلَى رَأْسِهَا، كَعَقْلِ الْإِنْسَانِ فِي رَأْسِهِ، إِنْ أَصَابَهُ سُوءٌ هَلَكَ. كَانَ أَبِي يُوَصِّي أَخَوِيَّ بِالنَّخْلِ، كَمَا كَانَتْ أُمِّي تُوَصِّينِي كُلَّ فَجْرٍ، وَهِيَ تُتَلَّقِي تَعْلِيمَاتِهَا

(1) ورد الحديث بعبارته "أكرموا عماتكم النخلة"، وهو حديث ضعيف. (انظر "زاد المعاد"/الجزء الرابع / 4/366).

اليومية بكنس الدار، وإطعام الدجاج، وأن أسقي النعناع، وعندما كنت أنسى -كنت دائما على عجلة من أمري، أؤدي تلك الواجبات قبل الذهاب إلى المدرسة- كانت تغضب، ويعلو صوتها موبخة: "حرام عليك يا بنتي، هذا فال سيء، ربنا يمد في عمر أبيك، ويبقى الدار عمارا"، ولكن الله لكم يمد في عمره، ولا في عمرها. حتى أخوأي ذهابا، فأصبحت أنا - بعد أن أقمت في القاهرة- كالمقطوعة من شجرة، وبدا أنني نسيت النعناع والصبارة والنخلة، وكل شيء.

ثم جاءت عمتي فاطمة لزيارتي، وضمتني إلى صدرها، وبكت على خراب بيتنا الذي انطفأت ناره، وجفت صبارته، ثم كففت دمعها، وتربعت على البساط الأسيوطي، وفتحت التسلة التي حملتها معها للزيارة. قالت: "أحضرت لك رغفانا خبزتها، وتمرا من نخلة أبيك، وكسرت لك فرعا من الصبارة التي في دارنا"، ومدت عمتي لي يدها بالصبارة، وهي تقول، والدموع مازالت في عينيها: "الصبارة التي في دارنا كسرتها لي أمي من صبارتها يوم تزوجت، وانتقلت إلى بيت زوجي، هذه إذن صبارة جدتك، وجدّة جدتك، ربنا يبارك فيك يا فوزية، يا بنتي، ويحفظ لك الدار عمارا".

ذكرتني عمتي، ولما تذكرت زرعت، فقال الناس عني: مجنونة.

في العمل أيضًا، يتهامسون وراء ظهري، وذات مرة، قالت لي زميلتي:

- انظري يا فورية إلى يديك.

فَفَهَّمْتُ أنها تشير إلى الخطوط السوداء تحت الأظافر، فُقلْتُ: "هذه ليست وساخة، إنه طينٌ متخلفٌ من التزرع الذي أزرعُه".

قالت لي، وهي تُرَبُّت على كتفي: "لا يليق، لا يليق أبدًا، وأنت موظفة!".

لا أفهم ما الذي يسيءُ زملائي عندما أزرع. المكان الذي نعمل فيه مُعتم وقديم، تساقط طلاء جدرانِهِ، ونسج العنكبوت خيوطه في الزوايا، وعششت فيه الحشرات، وأنا واثقة أن الفئران لها جحورٌ فيه تتركها في المساء والليل، وتسرح بين المكاتب بلا ضابط، وكل يوم أحمدُ الله أنها لم تقرض بعد أيًا من أوراق الملفات التي في عُهدتي: الملفات الرمادية القديمة المصفوفة على رفوف خشبية متآكلة، يصعب معرفة لونها الأصلي، وحتى المساحة

المستطيلة التي أمام المبنى، والتي تُشير إليها بـ "الحديقة" يغطيها طفح المجاري، فلا نستطيع دخول المبنى أو الخروج منه إلا بالتسير الحذر على خمسة أحجار متجاورة تُشكّل جسراً إلى عتبة الباب.

لَمْ أَصِرْ مَعَ زُمَلَائِي، وَعِنْدَمَا وَجَدْتُ الْوَضْعَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ زَرَعْتُ ثَلَاثَ شَجَرَاتٍ مِنَ الْيَاسْمِينِ الْهِنْدِيِّ، وَتَعَهَّدْتُهَا، فَلَمَّا نَمَتْ، وَتَكَاثَفَتْ أَوْرَاقُهَا حَمَلْتُهَا إِلَى الْمَكْتَبِ، وَوَضَعْتُهَا مُتْجَاوِرَةً فِي الشَّرْفَةِ الْوَحِيدَةِ الَّتِي بِالْمَبْنَى، وَلَكِنْ زُمَلَائِي لَمْ يَلْتَفِتُوا لِحِمَالِ الْيَاسْمِينِ حَتَّى عِنْدَمَا أَزْهَرَ، مَعَ أَنَّهُمْ التَفَتُوا لِلطَّيْنِ تَحْتَ أَظْفَرِي.

فِي عَمَلِي، لَا يَفْهَمُونَنِي، وَلَا فِي الْحَيِّ أَيْضًا. سَمِعْتُهُمْ بِأُذُنِي يَقُولُونَ: "فَوْرِيَّةُ الْمَجْنُونَةِ الَّتِي تُلْقِي بِنَفْسِهَا عَلَى نَوَى التَّمْرِ كَأَنَّهُ جُنَيْهَاتُ الذَّهَبِ، وَهُمْ يَسْتَغْرِبُونَ سَلُوكِي، فَالوَاحِدُ مِنْهُمْ يَأْكُلُ الْبَلْحَةَ، وَيَلْفِظُ النَّوَاةَ، يَبْصُقُهَا مِنْ فَمِهِ فَتَسْقُطُ بَعِيدًا، أَوْ يَبْصُقُهَا فِي يَدِهِ، أَوْ يَرْمِيهَا بَعْدَ ذَلِكَ بِطُولِ ذِرَاعِهِ فَتَسْقُطُ أَبْعَدَ... أُرْكَضُ لِأَلْتَقِطَهَا، وَأُخَبِّئُهَا فِي جَيْبِي الْعَمِيقَةِ، وَعِنْدَمَا أَرْجِعُ إِلَى الْبَيْتِ أَضَعُهَا فِي قَطْنِيَّةٍ مُبَلَّلَةٍ أَرْبَعَةَ أَوْ خَمْسَةَ أَيَّامٍ، وَأَتَعَهَّدُهَا كُلَّ يَوْمٍ، وَأَتَابُعُهَا وَهِيَ تَنْتَفِخُ، وَتَلِينُ حَتَّى أَلْمَسَ بِيَدِي طَرَاوَتَهَا، فَأَعْرِفُ أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ حَانَ، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَدْفُنُهَا فِي الطَّيْنِ، وَأَغْمُرُهَا بِالْمَاءِ... وَأَنْتَظِرُ.

كُنْتُ أتمنى أن يكون بيتي فسيحاً تحيط به أرضي، فأزرعها، ويحزنني أنه يتكون من
حجرة واحدة، وأن شرفته الوحيدة صتيقة إلى هذا الحد، ولا تتسع لكل ما أزرع.

في الماضي كنت أضع أضع التزرع على سور الشرفة، ولكنني عدلت عن ذلك؛
لأن الصغار العابثين كانوا يرمونها بالحجارة. أول مرة وجدت أصيص زرع مُحطماً، والعود
المزروع فيه مكسوراً، ذابل الأوراق، فكثرت فيهم، ولكنني قلت لنفسي: "إن بعض الظن
إثم"، فلما تكرر الأمر تأكدت، وتأكدت أكثر عندما أخذ الصغار يضايقونني وأنا عائدة
إلى البيت، أحمل صفيحة أو صفيحتين من تلك الصفيحة الكبيرة التي تُستخدم في حفظ
الجبن الأبيض، أو الزيتون- كان العم متولي البقال يعطيها لي لكي أزرع فيها - وعندما وجد
أنني لا أشتري منه الصابون المعطر والجبن المستورد المغلف بأوراق فضية وذهبية غضب،
واستاء، ولم يعد يعطيني الصفيحة، ذلك رغم تأكيد لي أنه أنني لا أشتري هذه الأشياء، لا
منه، ولا من سواه؛ لأنها غالية، وراتبي قليل، وعندما كان العم متولي يعطيني الصفيحة
كان الأولاد يمشون ورائي، ويزفونني، ويقولون: المجنونة... راجعة، وماسكة في يدها صفيحة،

(عقل ما فيش، مخ ما فيش)، (مُخ فالصو، وعقل صفيح).

كَانَ سَلُوكُهُمْ يُحْزِنُنِي، فَأَشْعُرُ بِغَضَبِي فِي حَلْقِي، وَرَغْبَةٌ فِي الْبِكَاةِ، إِلَّا أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَبْكِي،
بَلْ أَنْحَنِي، وَأَلْتَقُطُ أَوَّلَ حَجَرٍ فِي الطَّرِيقِ، وَأَلْقِيهِ عَلَيْهِمْ.

وَقِي مَتْرَةً مِنَ الْمَتْرَاتِ ظَهَرْتُ لِي أُمُّ سُلَيْمَانَ الْمَرْأَةُ الْبَدِينَةُ ذَاتُ السِّنِّ الذَّهَبِيِّ، وَاعْتَرَضَتْ
طَرِيقِي، فَقُلْتُ لَهَا مُعْتَذِرَةً:

- أَنَا آسَفَةٌ يَا أُمَّ سُلَيْمَانَ، لَمْ أَقْصِدِ الْإِسَاءَةَ، لَكِنَّ سُلَيْمَانَ وَالْأَوْلَادَ الْآخَرِينَ سَتَّبُونِي، وَأَيْضًا يَا
أُمَّ سُلَيْمَانَ بِالْأَمْسِ كَسَرُوا آنِيَةَ التَّرِيعِ الَّتِي وَضَعْتَهَا عِنْدَ مَدْخَلِ الْبَيْتِ.
فَاجَأْتَنِي ضَحْكُوتُهَا، وَلَكِنِّي وَاصَلْتُ:

- أَنْتِ أُمَّ سُلَيْمَانَ تَقُومِينَ بِرِعَايَةِ سُلَيْمَانَ وَحِمَايَتِهِ أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ اعْتَبِرِينِي أَنَا أَيْضًا أُمَّ، أَنَا
أُمَّ التَّرِيعِ!

لَعَبْتُ أُمَّ سُلَيْمَانَ حَاجِبِيهَا، وَأَخْرَجْتُ صَوْتًا مُتَحَشِّرًا مِنْ حَلْقِهَا، وَقَالَتْ:

- "مَبْرُوكٌ عَلَيْكَ "زَرَعٌ" يَا "أُمَّ زَرَعٌ" تَعِيشِي، وَتَجِيبِي!".

وأدارت ظهرها، وتركتني، وهي تواصل ضحكاتها العالية المخيفة، ولَمْ أَجِدْ مَنْ أَشْكُو لَهُ سِوَى "أبويَا" الَّذِي يَعْمَلُ أَجِيرًا فِي الْمَشْتَلِ، وَيَسْكُنُ فِي كَوْخِ خَشْبِيٍّ فِي مَكَانِ عَمَلِهِ.

فِي بَدَايَةِ تَعَارُفِنَا كُنْتُ أَنَادِيهِ بِـ "عَمَّ مُحَمَّدٍ"، وَهُوَ يُنَادِينِي "التست فوزية"، وَلَمَّا تَأَلَّفْنَا، صِرْتُ أُسَمِّيهِ "أبويَا مُحَمَّدٍ"، وَهُوَ يُسَمِّيَنِي "أُمُّ أَحْمَدٍ" نَسْبَةً إِلَى أَبِي -رَحْمَةُ اللَّهِ- الَّذِي كَانَ اسْمُهُ "أَحْمَدُ".

عِنْدَمَا تَضَيَّقُ بِي الدُّنْيَا أَذْهَبُ إِلَيْهِ، وَأَشْكُو، وَفِي هَذِهِ الْمَتْرَةَ شَكَّوْتُ لَهُ أُمَّ سُلَيْمَانَ، فَنَصَحَنِي أَنْ أُسَبِّحَهَا كَمَا سَبَّحْتَنِي.

قُلْتُ لَهُ سَأَحَاوِلُ، وَعُودْتُ إِلَى بَيْتِي، وَلَكِنِّي لَمْ أَكُنْ وَاثِقَةً أَنِّي سَأَسْتَطِيعُ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ كَانَتْ تُخَيِّفُنِي، إِلَى حَدِّ أَنِّي أَرَاهَا فِي أَحْلَامِي تَضْحَكُ، فَتَبْدُو أَسْنَانُهَا طَوِيلَةً، وَمُخَيِّفَةً، وَعَلَى الْأَخْصَصِ ذَلِكَ السَّنُّ الذَّهَبِيُّ اللَّامِعُ، أَرَاهَا تَضْحَكُ فَيَكُونُ الْحُلْمُ كَابُوسًا.

ومع ذلك فليست كل أحلامى كوابيس، عندما أصفو أرى فى الأحلام الحقول، فتكون الأحلام جميلة كالحقول،... ومُتونة.

عندما يكون الحقل قمحاً أراه كالذهب الخالص تميل به السنابل، وتحنى، وتموج فى بحر من زعفران.

وعندما يكون الحقل ذرة، أرى الكيزان وقد استوت على عيدانها، وسرت فى شواشيها حمرة خمريّة، فيبدو الحقل وهو الأخضرُ بنياً أحمر كماء النيل فى الشهر التاسع، مُثقلاً بالظمى قبل الفيضان.

وعندما يكون الحقل حديقة برتقال، أرى الشجرات صغيرة ومدورة ومدورة ومحملة بالثمار، ويكون البرتقال على أخضر الغصون برتقالياً، والشمس كمثله فى الزرقاء العالية.

مِرَّةً وَاحِدَةً رَأَيْتُ النَّخْلَ غَابَةً فِي السَّحْرِ، وَلَمْ تَكُنِ الشَّمْسُ قَدْ أَشْرَقَتْ بَعْدَ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ عَلَى وَشِكِّ، فَتَخَصَّصَ الْأَفْقُ الْبِنْفَسَجِيَّ بِلَوْنِ الْحِنَاءِ. رَأَيْتُ النَّخْلَ مُسْتَقِيمَ الْقَدِّ، شَاهِقَ الطَّوْلِ، وَعَمِيْمًا، وَرَأَيْتُ وَجْوهَ أَهْلِ فِيهِ، أَبِي، وَأُمِّي، وَعَمَّتِي، وَابْنَ عَمِّي. كَانَتْ وَجْوهُهُمْ خَضِرَاءَ شَاحِبَةً بِلَوْنِ السَّعْفِ، وَلَكِنِّي لَمْ أَتَحَقَّقْ إِنْ كَانُوا يَقْفُونَ خَلْفَ الْجَذْوَعِ أَمْ كَانَتْ الْجَذْوَعُ خَلْفَهُمْ.

وَسَمِعْتُ صَوْتًا رَخِيْمًا وَدَاقِيًّا كَأَنَّهُ صَوْتُ مُقْرِيٍّ يَتْلُو الْآيَاتِ قَبْلَ أَذَانِ الْفَجْرِ، أَوْ سَاعَةَ السَّحْرِ، فَقُلْتُ لِنَفْسِي: "أَنْتِ يَا فَوْزِيَّةُ عَلَى الْأَعْتَابِ، فَتَهَيَّئِي"، وَلَكِنِّي صَحَوْتُ، وَفَتَحْتُ عَيْنِي فَلَمْ أَجِدْ سِوَى الصُّورَةِ الْمَعْلُوقَةِ عَلَى الْجِدَارِ الْقَدِيمِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ كَانَ حُلْمًا، فَانْسَكَبْتُ مِنْ عَيْنِي دَمْعَةٌ ثُمَّ اسْتَجَمَعْتُ نَفْسِي، وَقُمْتُ.

الْيَوْمَ جَاءَتْني امْرَأَةٌ تَسْكُنُ فِي الشَّارِعِ نَفْسِهِ، وَقَالَتْ: رَأَيْتُ أَصْصَ التَّرْعِ فِي الشُّرْفَةِ، إِنَّهَا جَمِيلَةٌ، وَسَأَلْتَنِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ أَنْ أُعَلِّمَهَا، فَأَرَيْتُهَا كَيْفَ، وَأَهْدَيْتُهَا عِودَ نَعْنَاعٍ كُنْتُ زَرَعْتُهُ، ثُمَّ جَلَسْنَا، وَتَحَدَّثْنَا.

وجهة نظر الراوي الداخلي :

س - ما ذا تعني وجهة النظر ؟

ج - وجهة النظر تعني الزاوية أو المنظور الذي يختاره الكاتب لتروي من خلاله القصة .

س - إنَّ اختيار الزاوية أو المنظور يؤثر تأثيرًا مباشرًا على تحديد الراوي . وضح ذلك

ج - إذا كان الكاتب يريد للقصة أن تُروى من وجهات نظر مختلفة فإنه قد يختار لها راويًا خارجيًا عالمًا ، له القدرة على معرفة ما يدور في ذهن كل شخصياتها ، كما هو الحال في رواية " رجال في الشمس " التي درستها من قبل ، وقد يختار أن تروي القصة شخصياتٍ من القصة نفسها ، فتتعدد الأصوات بتعدد الشخصيات التي تروي الأحداث ، وتتاح للقارئ أن يرى الأشياء والمواقف من وجهات نظر مختلفة كما هو الحال في رواية " تبكي الأرض يضحك زُحَلُ " للكاتب العماني (عبد العزيز الفارسي) .

س - ما مفهوم الراوي ؟

ج - هو الشخص الذي يوظفه كاتب القصة ليرويها ، وقد يقدّم الكاتب من خلاله وجهة النظر في القصة .

س - ما أنواع الراوي في القصة ؟

ج - الراوي الداخلي : هو أحد الشخصيات الموجودة في القصة وداخل عالمها ، وهذا الراوي سيتحدث بضمير المتكلم ، فسيقول : أنا أحبُّ ، لا أحبُّ ، ذهبت ، أعجبنى الخ .
الراوي الخارجي : هو راو يختاره الكاتب من خارج عالم القصة ، ويتحدث بضمير الغائب عن شخصيات القصة ، فسيقول : فعلت ، قاموا ، أعجبه ، هو يحبُّ ، لا يحبُّ الخ .

س - ما مفهوم الراوي غير الموثوق ؟

ج - هو الراوي الذي لا يقدم وجهة نظر نهائية وهو ما يظهر في الروايات الحديثة ، التي تجعل للقارئ فرصة للتأمل .
س - لماذا اختارت الكاتبة (رضوى عاشور) شخصية فوزية لتروي الحكاية ؟ متى يلجأ الكاتب لاستخدام الراوي الداخلي ؟
ج - 1 - لتسليط الضوء تسليطاً مركّزاً على شخصية فوزية والدخول إلى عالمها .
2 - لتسليط الضوء على مشاعرها ، وآرائها .
3 - لإظهار كيف تنظر فوزية إلى عالم القصة الذي تعيش فيه ، وإلى الشخصيات الأخرى التي تشاركها هذا العالم .

الاستعدادُ لقراءةِ النَّصِّ:

العنصرُ الأدبيُّ:

وجهةُ نظرِ الرَّاويِ الداخليِّ:

يرتبطُ مصطلحُ "وجهةِ النَّظرِ" في القصةِ القصيرةِ أو الروايةِ بمصطلحِ "الرَّاوي" في الغالبِ؛ فوجهةُ النَّظرِ تعني الزاويةُ أو المنظورُ الذي يختارهُ الكاتبُ لِتروى مِنْ خلالهِ القصةُ، وإنَّ اختيارَ المنظورِ يؤثرُ تأثيرًا مباشرًا على تحديدِ الرَّاوي؛ فإذا كانَ الكاتبُ يريدُ للقصةِ/ الروايةِ أن تُروى مِنْ وجهاتِ نظرٍ مُختلفةٍ فإنَّهُ قد يختارُ لها راويًا خارجيًا عالمًا، لهُ القدرةُ على معرفةِ ما يدورُ في ذهنِ كلِّ شخصياتِها، كما هو الحالُ في روايةِ "رجال في الشمس" التي درستها. وقد يختارُ أن تروى الحكايةُ شخصياتٌ مِنْ القصةِ/ الروايةِ نفسها، فتتعدَّدُ الأصواتُ بتعدُّدِ الشخصياتِ التي تروى الأحداثُ، وتُتاحُ للقارئِ أن يرى الأشياءَ والمواقفَ مِنْ وجهاتِ نظرٍ مُختلفةٍ، كما هو الحالُ في روايةِ "تبكي الأرضُ يضحكُ زُحَلٌ" مثلًا للكاتبِ العُماني (عبد العزيز الفارسي).

أحيانًا يُفضّل الكاتبُ أن يختارَ وجهةَ نظرٍ مُحدّدةٍ وقاصرةٍ عن الإمامِ بكلِّ ما يحدثُ في عالمِ القصةِ/ الروايةِ، وعندها فإنّ الراوي لن ينقلَ لنا إلا ما يراهُ ويسمعهُ في اللحظةِ التي يكونُ فيها موجودًا في قلبِ الحدثِ، ولن يتمكنَ من أن يعرفَ ما يدورُ في أذهانِ كلِّ الشخصياتِ.

وأحيانًا يختارُ الكاتبُ أن يكونَ الراوي هو أحدُ شخصياتِ القصةِ، فيستخدمُ ضميرَ المتكلّمِ في الحديثِ عن نفسه، وعندها يُسمّى الراوي داخليًا. وكثيرًا ما يلجأُ الكُتّابُ إلى استخدامِ هذا النوعِ من الروايةِ عندما يريدونَ أن يُسلّطوا الضوءَ تسليطًا مُركّزًا على شخصيّةٍ محدّدةٍ (المتكلّمِ نفسه)، مشاعرها، وآرائها، وكيفَ تنظرُ هذه الشخصيّةُ إلى عالمِ القصةِ الذي تعيشُ فيه، وإلى الشخصياتِ الأخرى التي تشاركها هذا العالمَ. فإذا كانت نيّةُ الكاتبِ هي الدخولُ إلى عالمِ شخصيّةٍ مُحدّدةٍ من شخصياتهِ فإنّ اختيارَ الراوي الداخليّ بضميرِ المتكلّمِ يُعدُّ خيارًا جيّدًا.

في قصةِ «رأيتُ النخل» اختارتُ «(رضوى عاشور) فوزيّة شخصيّةً رئيسةً في القصةِ، لِترويَ لنا الحكايةَ. تأملُ كيفَ منحكَ هذا الاختيارُ قُربًا من "فوزيّة"، وإحساسًا بها، وتفهمًا وتعاطفًا معها.

تطوير المفردات:

المفردات والمعجم:

استعن بالمعجم اللغويّ (الورقيّ أو الرقميّ) في البحث عن معاني الكلمات الآتية. ثمّ دوّنّها في الفراغات:

أجسّ: جسّ الطيّبُ نبضَ المريضِ : لمسه ليتعرّف دقّاته ، (تحسس ولمس).

أرشقُ: رشقه: رشقاً (رماه) ، ورشق : رشاقة (حسن قده) ، وأرشق الشيء: رشقة (غرس).

تعهدَ: تعهده بالرعاية اللازمة: غني به، ألزم نفسه بتفقدته والاهتمام به.

عميم: الجمع «عمّ»، والمؤنث «عميمة» و «عمائم»: كل ما اجتمع وكثر

رخيم: صوت رخيم «لين» رقيق – عذب ، وامرأة رخيمة «سهلة المنطق»

كوزُ الذُّرّة: الجمع : «أكواز ، وكيزان» وهو سنبلها

تطبيق على المعجم والمفردات:

صنّف الكلمات الآتية بحسب نوع المشتق الذي تنتهي إليه، ثمّ اذكر الفعل الذي اشتقت منه:
مويّخة، مُتأكّلة، مُعتم، مُتَحشِج، ناهضة، مُثقل، عميم، رّخيم، كامن.

الكلمة	نوع المشتق	
مويّخة	اسم فاعل	ويخ
مُتأكّلة	اسم فاعل	تأكل
مُعتم	اسم فاعل	عتم
مُتَحشِج	اسم فاعل	حشج
ناهضة	اسم فاعل	نرض
مُثقل	اسم مفعول	أثقل
عميم	صيغة مبالغة	عمّ
رّخيم	صفة مشبهة	رّخم
كامن	اسم فاعل	كمن

في أثناء قراءة النصّ:

يمكنك الآن قراءة القصّة في كتاب "القصص القصيرة"، ولكن فكر قبل القراءة بالعنوان «رأيت النخل» وحاول أن تخمن دلالة هذا العنوان، وما الذي يمكن يُشير إليه. وفي أثناء القراءة حاول أن تجيب عن الأسئلة التي على هامشي النصّ إجابات مختصرة سريعة.



حول الكاتبة:

رضوى عاشور (1946 - 2014)، روائية وأستاذة جامعيّة مصريّة، درست الأدب الإنجليزي في جامعة القاهرة، وحصلت على (الماجستير) في الأدب المقارن عام 1972 ، وعلى (الدكتوراه) في الأدب الأفريقي الأمريكي من جامعة (ماساتشوستس) عام 1975 . تُرجمت أعمالها إلى الإنجليزية والإسبانية والإيطالية والاندونيسية، ونالت العديد من الجوائز، كجائزة (سُلطان العويس) للرواية والقصّة عام 2012 ، وحصلت روايتها "ثلاثية غرناطة" على جائزة أحسن رواية في معرض القاهرة للكتاب عام 1994 ، والجائزة الأولى للمعرض الأول لكتاب المرأة العربيّة عام 1995 . من أشهر أعمالها: سراج، ثلاثية غرناطة، أطياف، قطعة من أوروبا، فرج، الطنطورية، أثقل من رضوى.

أنشطة ما بعد النص:

حول النص:

1- هل قصة "رأيت النخل" قصة شخصية أم قصة حدث؟ وكيف أثر ذلك على اختيار الراوي ووجهة النظر؟

1 - قصة: «رأيت النخلة» قصة شخصية ولذلك اختارت الراوي الداخلي الذي يعبر عن وجهة نظر الكاتبة؛ لأنها الأقدر على نقل الأحداث بمصداقية، ويقرب القارئ من الشخصية ويجعله يشاركها الأحاسيس والمشاعر والآلام

2 - قَدِّمَتِ الشَّخْصِيَّةُ أحداثَ حياتها غير مُرتَّبة، فكانَ الزَّمَنُ يتحرَّكُ إلى الوراءِ (استرجاع)، ثُمَّ يعودُ إلى الوقتِ الحاضرِ. رتَّبَ أحداثَ القِصَّةِ مِنْ أقدَمِ حَدَثٍ ذَكَرْتُهُ فَوْزِيَّةً، إلى أحدثِ نقطةٍ في زَمَنِ القِصَّةِ الحاضرِ.

2 - *وصية الوالد لأخوي فوزية بالنخلة

* وصية الأم لفوزية

* زيارة العممة فاطمة لفوزية حاملة معها سلة فيها رغفانا وتمرا من نخلة أبيها، وفرعا من صبارة جدتها

* نبأ وفاة ابن عمها وقيامها بالزراعة قبل الذهاب لأداء واجب العزاء

* علاقة فوزية بزملائها في العمل

* تحطيم الأولاد لأصص الزرع وايدائهم لها

* أحلام فوزية وفرحتها بالسيدة التي أعجبت بزراعتها وطلبها لها أن تعلمها كيف تزرع

3 - كيفَ كانَ لنشأةِ فوزيّةٍ في القريةِ أثرٌ على تعلقِها بالزُّرعِ، وشغفِها بهِ؟ وماذا حدثَ لها بعدَ أن انتقلتُ إلى القاهرةِ؟ وما الموقفُ الذي أحيَا في قلبِها مشاعرَها وحبَّها للزُّرعِ مرّةً أُخرى؟

3 - كانَ لنشأةِ فوزيةٍ في القريةِ أثرٌ كبيرٌ في تعلقِها بالزُّرعِ وشغفِها بهِ حيثُ أنها تنتهي إلى قريةٍ في صعيدِ مصرٍ وأهلِها يعملون بالزراعةِ فتركتُ مناظرَ حقولِ القمحِ في نفسها أثرٌ لحبِ الزراعةِ ، وهي تقولُ أن الزراعةِ هي حياتهن التي يفتحنَ عيونهن عليها وعند الموتِ يغمضونَ عيونهم عليها

4 - كيفَ كانتُ علاقةُ فوزيّةٍ بزملائها والنَّاسِ مِنَ الحَيِّ الَّذِي تسكنُ فيهِ؟ وما الدليلُ على ما تقولُ؟

4 - كانتُ وطيدةً وقويةً ، وكانوا يحبونها وتحبهم ، إلا أن منهم من كان يستاء من كثرةِ قيامها بالزراعةِ ويصفها بالمجنونةِ حتى أنهم لم يروا جمالَ تفتحِ الياسمينِ ومنظره الجميلِ ولم يروا إلا بقايا أثرِ الطينِ على أظافرِها من أثرِ قيامها بالزراعةِ ، وكان الأطفالُ في الحيِ يضايقونها ويحطمونَ أُصُصَ الزرعِ لها .

5 - علامَ تدلُّ أحلامُ فوزيّةٍ في رأيك؟

5 - تدلُّ على حبِّها للزراعةِ ، وعلى جمالِ القريةِ وأن القريةِ والزراعةِ هي معينُ العطاءِ وسلةُ الغذاءِ لجميعِ المدنِ ، وتدلُّ كذلك على أن النخلةَ رمزُ الأصالةِ والعراقةِ ، تمثلُ كذلك الجذورَ الممتدةَ لها ولعائلتها.

6 - هل ترى أن فوزية غريبة الأطوار؟ أم أنها مجرد إنسانة بسيطة تشعر بالوحدة؟ اشرح وجهة نظرك.

6 - أرى أن فوزية إنسانة بسيطة تشعر بالوحدة بعد انتقالها إلى القاهرة ووفاة والدها ووالدتها وأختها وبعدها عن أهلها مما دفعها إلى عمل مفيد تستثمر فيه وقتها وهو الزراعة فالوحدة فجرت طاقاتها لاستثمار وقت فراغها بعيداً عن الناس ، وعليه فإنها ليست غريبة الأطوار بل هي سيدة من النساء اللاتي كن دائماً محور اهتمام الكاتبة العصرية (رضوى عاشور) ؛ فبطلة «ثلاثية غرناطة» امرأة ، وبطلة «القنطورية» امرأة

7 - صف مشاعرك نحو فوزية، وهل ترى أن اختيارها لتروي قصتها بنفسها كان له دور في تشكيل مشاعرك نحوها؟

7 - أشعر نحوها بالتعاطف والإعجاب لما قامت به وبدورها في القصة ، وعندما اختارت الكاتبة أن تروي لنا فوزية قصتها أرادت بذلك أن تقربها منا ، وتجعلنا نشركها الأحاسيس والمشاعر ، وهمومها ونجاحاتها ونغوص في أعماق الشخصية لنتعرف عليها أكثر

8 - ما الذي توحى به نهاية القصة؟ وما دليلك؟

8 - توحى بأن تعلق فوزية بالزراعة ، وشغفها وحبها لها لم يكن لأنها غريبة الأطوار وإنما كان عملاً مثمراً ونافعاً وقد بدأ يؤتي ثماره فهي سيدة من جيرانها في الشارع تأتيها لتعلمها كيف تقوم بالزراعة بعد ما أبدت إعجابها بعملها وزراعتها.

حول الكلمات: إبراز المعاني

حول لغة النص:

تحدثت فوزية عن الصوت في موقعين: الأول حين وصفت صوت أم سليمان، والثاني حين وصفت الصوت في حلمها الذي رأت فيه النخل:

*لعبت أم سليمان حاجبها، وأخرجت صوتاً متحشرجاً من حلقها، وقالت.
*وسمعت صوتاً رخيماً ودافئاً كأنه صوت مقرئ يتلو الآيات قبيل أذان الفجر.

1 - ما معنى "متحشرج" وما دلالة استخدامها مع أم سليمان؟

1 - صوت متحشرج ، صوت متقطع متردد في الحلق ، ويدل على صوت أم سليمان لم يعجب فوزية ؛ لما فيه من استخفاف وسخرية من فوزية

2 - ما معنى "رخيم" وما دلالة استخدامها في حلم النخيل؟

2 - عذب رقيق لين ، وفيه سكينه وهدوء ، وإيدان بميلاد فجر جديد ، كما يدل على اعتزاز فوزية بالنخلة التي ترمز إلى أصولها وجذورها القروية

حول الجمل: تعميق الدلالات

اشرح ما للعطف في الجمل التالية من دور في تعميق المعنى وتلوينه وتقريبه، (لكي تفهم دور العطف هنا، احذف المعطوف، وانظر كيف تصير الجمل).

1 - أنظر، وأتحقق.

2 - أجس، وأتحسس.

3 - جف، وتشقق.

4 - يبس، واصفر.

5 - نما، وطال.

- 1 - في الجملة الأولى: أفاد العطف شدة النظر القائم على التدقيق والتحقيق فقد لون المعنى وأكد الصورة عند القارئ.
- 2 - في الجملة الثانية: أفاد العطف بيان نوع الجس أنه للتحسس فأكد المعنى وقربه في صورة الأمر المحسوس للقارئ.
- 3 - في الجملة الثالثة: أفاد العطف إظهار شدة الجفاف الذي لحق بالتربة حتى تشققت وكأنها تفتح يديها طلباً للماء.
- 4 - في الرابعة: أفاد العطف بيان شدة ما تعانيه زهرة الصبار من الجفاف حتى ذهبت نضارتها وأصبحت يابسة صفراء.
- 5 - في الخامسة: أفاد العطف إظهار حالة النبات ونموه وأنه يكبر ويطول وكأنها ترسم لوحة بقلمها فيشاهدها القارئ.

حول الصور: تلوين المعنى وتوسيعه

1 - تأمل الصورة البيانية الآتية، ثم اشرحها موضحاً ما فيها من جمال:

"عندما يكون الحقل قمحاً أراه كالذهب الخالص، تميلُ به السنابلُ، وتُنحني، وتموجُ في بحرٍ من زعفرانٍ".

1 - شُبهت الكاتبة حبات القمح بالذهب الذي تميلُ به السنابلُ ، وهو تشبيه تام ، ووجه الشبه هو اللون الأصفر اللامع ، وسر الجمال في الصورة : توضيح شغف بطلة القصة وحبها للزراعة وبيان أهمية القمح وارتفاع قيمته؛ لأنه العماد الرئيسي لغذاء الإنسان

2 - ما المعنى المضمّن في كُلِّ عبارةٍ تحتها خطٌ فيما يأتي:
"وَبَكَتْ عَلَى بَيْتِنَا الَّذِي انْطَفَأَتْ نَارُهُ، وَحَفَّتْ صَبَّارَتُهُ".

فيه إشارة إلى موت الوالد الذي كان يمد البيت بالحياة ويحميه ، وفيه إشارة أيضاً إلى موت الأم التي كانت ترعى البيت والأسرة ، وكذلك يشير إلى خراب البيت وأنه لم تعد به حياة.

"لَمْ يَلْتَفْتُوا لِحَمَالِ الْيَاسْمِينِ عِنْدَمَا أَزْهَرَ، مَعَ أَنْهُمْ التَّفْتُوا لِلطَّيْنِ تَحْتَ أَظْفَرِي".

فيه إشارة إلى نظرة الإنسان الدائمة إلى نصف الكوب الفارغ الذي يعدد السلبيات دائماً ولا يرى الإيجابيات ، فهم التفتوا فقط إلى الطين الذي تحت أظفار فوزية ولم يهتموا بجمال الياسمين.

"أنا-بعد أن أقمتُ في القاهرة- كالمقطوعة من شجرة".

تشبيه يدل على أن فوزية يتيمة ليس لديها أي أحد يسأل عنها أو يهتم لشأنها وأنها بعد انتقالها للقاهرة وفقدتها لحياة الدفاء التي كانت تتمتع بها في القرية والتي تختلف تماما عن حياة المدينة التي لا يسأل فيها أحد على أحد ولا يهتم فيها أحد لأمر أحد الأمر الذي زاد من غربتها ويتمها

حَوْلَ قَارِيِ النَّصِّ:

التَّفْكِيرُ حَوْلَ التَّفْكِيرِ

أحيانا تقودُ الوحدةُ إلى الشَّغْفِ بشيءٍ ما، واتخاذِهِ بديلَ عَنِ النَّاسِ والأصدقاءِ والأحِبَّةِ. ما رأيكَ في ذلك؟ وهل يمكنُ أن تقودَ الوحدةُ إلى أمورٍ أُخرى؟ سيئةٌ أم جيِّدةٌ؟ الإجابةُ شفويَّةٌ، باللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ الفصيحَةِ

التَّفَاعُلُ والاستجابةُ

1 - كيفَ تصِفُ علاقتَكَ بالزَّرْعِ والأشجارِ؟ الإجابةُ شفويَّةٌ، باللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ الفصيحَةِ

2 - هلْ لديكُ شيءٌ تصلُ درجةُ اهتمامِكَ بِهِ حَدَّ الشَّغْفِ؟ ما هو؟ ولماذا تعلقتُ نفسكُ بِهِ؟

الإجابةُ شفويَّةٌ، باللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ الفصيحَةِ

